

# ما حاجتنا للفلاسفة كارهي الثورات والشعراء

## مفكرون تونسيون يبحثون دور الفيلسوف في واقع مليء بالطوارئ



الفيلسوف ليس بمعزل عما يحدث (لوحة للفنان فؤاد حمدي)

فالمجتمع الحديث يقبل الفيلسوف فقط كإيديولوجي. وقران مصباح هنا بين الشاعر والفيلسوف؛ فالأول بلغة جميلة يكرس لقيم موجودة، أما الفيلسوف فلهذه مشكلة مع الشاعر لأن هذا الأخير قريب للجمهور، أما الفيلسوف فبعيد عنه. ويبين مصباح أنه يمكن أن تكون الفلسفة ناجعة باعتبارها تربية وتهذيبا، كما أنه ليست هناك علاقة واحدة بين الفيلسوف والمجتمع لكن هناك صلة بينهما هي صلة تازم.

الدين نسيجا فكريا موحدا، ولذا كانت الوضعية الفعلية التاريخية للفيلسوف عند العرب أنه هامشي، لأنه لم يكن يعبر عن حاجيات المجتمع. والفيلسوف غير ذي صلة مباشرة مع المجتمع، ومشكلته الأولى هي مع الآراء والظنون، بينما الآراء والظنون هي ما تشكل لحمة المجتمع. ولفتت إلى أن هناك من الفلاسفة من انعزلوا، وهناك من ارتبطوا بالسلطة لحماية لأنفسهم من المجتمع. وارتباط الفيلسوف بالسلطة في التاريخ الحديث هو محاولة خلق نموذج مجتمعي،

وذكر مصباح بأنه لو لم يبق قسطنطين المسيحي بإغلاق أكاديمية أفلاطون وتفرق الفلاسفة في مختلف أنحاء الأرض، لما انتشرت الفلسفة، فقد خدمها هذا الغلق بشكل مفارق. وتسأل إن كان الفيلسوف يعبر عن حاجة في المجتمع؛ معتبرا أنه إذا كانت إجابتنا بنعم، فلماذا لم نشهد كل المجتمعات ظهور الفيلسوف؟ ويشدد مصباح على أن المجتمع لديه مشكلة مع الفلسفة لأنه يقوم على اللحمة، مثلا المجتمع العربي يمثل فيه

حيث علمتنا الفلسفة أنها تهتم بالكي والثابت، كما اعتدنا على أنها تأتي دائما متاخرة، كما يقول هيغل، لكن هذه صورة غير دقيقة اليوم. ويرى الباحث أن الفلسفة حاضرة بالضرورة في مختلف تفاصيلنا اليوم، وهي تهتم بالطوارئ ما دام هذا الطارئ يمس بصورة الإنسان التي نريد.

وعند الباحث ثلاث حالات طارئة هي الحروب والثورة والأوبئة، وكلها حالات تعالجها الفلسفة، بداية بالإرهاب الذي أسس لعنف دموي كما خلق قضية أخرى هي تبييض التعذيب، ثم الوباء وما فرضه من إجراءات الحجر الصحي ومنع التواصل والتنقل، إجراءات تنتهك بعض الحقوق، حتى أن الوباء أصبح حالة سياسية بامتياز، وثالث الطوارئ الثورة وهي حالة استثنائية قاربتها الفلسفة، حيث لا يمكن للفلسفة أن تحيا في انقطاع عن السياسي.

ويتساءل الملولي هل سيزول الاستثناء أم سيصبح دائما؟ مينا أنه من مفارقات الحالة الاستثنائية تولد الربح في علاقة الفرد بالآخر، الأخر كمكبوء وإرهابي، وهو ما يؤدي إلى الانعزال والانعكاس. فهذه الحالات هششت وجودنا. كانت الذاتية قائمة على الآخر، ووجدنا لا يستقيم بلا غير، لكنها فكرة هدمتها الحالة الاستثنائية، وخلفت نوعا من التباعد والتصادم مع الآخر. ويختم الباحث بأن الحالة الاستثنائية ليست قدر البشر، ففي رأيه الإرهاب كما الوباء كما الثورات، هي في حقيقتها صنعية مخابر، لذا فدور الفلسفة هو نقد وتوعية الواقع وما يحدث، فالفلسفة فعل مقاومة.

### الشاعر والفيلسوف

وجّه صالح مصباح، أستاذ الفلسفة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، بحثه إلى قضية "الفيلسوف والمجتمع"، معتبرا أن السؤال الذي انطلقت منه الجلسة "ما جدوى الفلسفة؟" هو سؤال متكرر يسأل نوعان، الأول يسأل عن التخليص من الفلسفة، أما الثاني فيبحث عن المصلحة منها.

ويقول مصباح "الفلسفة ترتبط بالفيلسوف، لذا فهي جهد فردي، والتسليم بالفلسفة واعتبارها جنسا ثقافيا أو مستوى معرفيا، يعني تقليص أظافرها وخسارة نصف المعركة".

وفي رأيه الفلسفة ليست عامة في كل الثقافات، وهنا نفهم الرغبة في استخراج فلسفة من الفلكلور الأفريقي أو الصيني على أنها تضر بالفلسفة.

ينظم المركز الثقافي الدولي بالحمامات مجالس دار المتوسط للفكر والفن، محاولا أن تكون هذه المجالس منصة دورية لتعميق التواصل بين جمهور المركز الثقافي وأصحاب الرأي والتصوير في مختلف ضروب الإبداع الفكري والفني في تونس. وتسعى هذه المجالس إلى أن تكون أيضا منبرا للفنانين والمفكرين والفلاسفة والأدباء لخلق التفاعل والتواصل مع الراهن اليومي.

وشدد على أن مشكلة الفكر موجودة بقوة إن بالغياب أو بالحضور، فالفلسفة تظل إحدى طرق التفكير الراقي، مختتما تمهيد بسؤاله: هل نحن في حاجة إلى الفلسفة لكي نفكر؟ هل هناك صيغ أخرى مرادفة للتفكير؟

أول المداخلات كانت للباحث رياض الفاهم حول قضية "الفلاسفة والثورات"، معتبرا بداية بأنه لا يدري ما هي صورة الفيلسوف، لأن السياسيين ساهموا في تهميشه وتركه جانبا. أما عن علاقة الفلاسفة بالثورة فهي في رأيه "ليست سببية، فليس هناك فيلسوف قام بثورة". ويعود الفاهم إلى مفارقة التسمية ثورة، المأخوذة عن كلمة ريفوليسيون وتعني الهولة أو الجري إلى الخلف، وقد ظهر استعمالها بالمعنى الذي نعرفه اليوم في القرن 17 في فرنسا، ليتحول معناها ونجد المعاجم تعرفها على أنها تحول فجئي وعنيف يمس البنية السياسية والاجتماعية.

ويشدد الفاهم على أنه ليست هناك ثورة لا تعيد النظر في السلطة وتوزعها والثورة وتوزعها، مينا أن الثورة هي فعل عواطف ورغبات وليست فعل وعي، وربما لهذا لا يجذبها الفلاسفة، بل هم أحيانا ينكرونها ويرفضونها. فكار الفلاسفة، كما يبين الفاهم، لا يفضلون الثورات، قد يجوبونها لكنهم يخافون من مآلاتها، فإيمانويل كانط مثلا ظل ينظر بجد إلى ما حدث في فرنسا، أما هيغل فلم يقبل ما آلت إليه الثورة الفرنسية، بينما اختلف الأمر مع ماركس، الذي حول وجه الثورة من سياسي إلى اجتماعي، معتبرا أن السياسة وسيلة اجتماعية، وهو ما أنتج توسيعا في تعريف السياسة، حتى أن جيل دولوز اعتبر أن "فقدان الشهية سياسة".

لكن الفاهم يستنكر انحصار الفلسفة في الحدود المدرسية وداخل أسوار الجامعة، رغم أن تونس بدأت تدريس الفلسفة حتى قبل عدة دول أوروبية.

### الفلسفة فعل مقاومة

خصص الباحث أحمد الملولي مداخلته لنقاش "الفلسفة والطوارئ"، حيث بدأها بتعريف الطارئ على أنه العرضي والاستثناء. منطلقا من تساؤل حول ما شأن الفلسفة بالطارئ؟

محمد ناصر الملولي  
كاتب تونسي

يعتبر تنظيم نشاط ثقافي في مثل هذه الظروف نوعا من المغامرة، وهو ما وصلته دار المتوسط للفكر والفن بالمركز بتنظيمها الحلقة الثانية من مجالس دار المتوسط للفكر والفن مساء الجمعة 11 ديسمبر، بحضور باحثين ومفكرين تونسيين لنقاش "قضايا الفلسفة ومهامها في ثقافتنا".

الفلسفة جهد فردي والتسليم بها واعتبارها جنسا ثقافيا أو مستوى معرفيا يعني تقليص أظافرها وخسارة نصف المعركة

وقد خصص المجلس الماضي لمقاربات لعشر سنوات بعد الثورة التونسية بحضور عبدالعزیز لبيب ومحمد الجولي وحسان الأحمدي وتاج الملك عويشة وغيرهم، حيث راح بين المشاغل الفكرية والأثروبولوجية، بينما ركز المجلس الثاني على الفلسفة منطلقا من سؤال جدوى الفلسفة اليوم.

### عودة قوية للفلسفة

شهدت جلسة "قضايا الفلسفة ومهامها في ثقافتنا" مداخلات لكل من الأستاذة الفلسفة والباحثين أحمد الملولي ورياض الفاهم والأكاديمي صالح مصباح، وقام بتشغيلها عبر تقديم الضيوف وتهديد القضايا المطروحة وإثارة الأسئلة إثر كل مداخلة الباحث عبدالعزیز لبيب.

وبدا لبيب الجلسة مينا أن مهمة الفلسفة اليوم قضية في غاية الأهمية، متسائلا عن منزلة الفيلسوف في مجتمعه ومنزلة تجاه القضايا الراهنة، وتطرق لبيب في افتتاحه للجلسة إلى حظ الفلسفة من مقاربة ما يحدث، ووظيفتها اليوم، بعد أن حدثت الثورة قبل عشر سنوات مثل زلزال خلخل الكيان الجمعي بصرف النظر عن مآلاته.

# معرض يكشف جوانب خفية من تجربة أيقونة الفن المغربي الشعبية طلال

الفطري وظلت تطرح باستمرار إشكالاتا فنيا عميقا على مستوى التكوين وعلى مستوى اللون والمرجعية.

المعرض يقدم كتابا يتضمن قصيدة كتبها الفنانة بنفسها، وسيرتها الذاتية وأعمالها، إضافة إلى أهم ما كتب عنها

وكتبت المفكرة المغربية الراحلة فاطمة المريني في شكل رسالة توديعية إلى الفنانة أنها "تمكنت، في مجتمع مبرمج لإهانة المرأة، من إحباط المخططات وتفكيك الآليات، دونما تعمد ومجردة من كل سلاح، لأن البحث عن البقاء صار هو رد الفعل الأكثر تلقائية للبقاء وللحياة، بشهادات أو دونها"، معتبرة أنها "شعاع من المعارض منذ منتصف القرن الماضي، حيث كانت من الرواد الأوائل الذين اقتحموا المتاحف الدولية وصلات العرض المرموقة في العالم. كما أن أعمالها توجد حاليا ضمن المجموعات الفنية لدى عدد كبير من المنظمات الدولية والمتاحف الشهيرة وكبار مقتني اللوحات في العالم. وتميزت الشعبية كذلك بكونها الوحيدة التي أسالت الكثير من الحبر حول تجربتها وحول ما يسمى بالفن

والأصفر كانها تفجر فيها ذلك المخزون البصري الذي تشكل في ذاكرتها منذ الصغر بغفوية ألوان الطبيعة التي كبرت الفنانة حولها، إلا أن ذلك الانسجام الرائق بين الألوان لم يكن يخفي القلق المعقد الذي يصعب فهمه لديها. أطاحتها اللونية على اللوحات هي نفسها لطفة الطفلة التي ما تزال تحيا بداخلها، تلك الطفلة التي نهلت من ينابيع طبيعة قريتها شتوكة.

لكن مسيرة الفنانة إلى العالمية لم تكن سهلة ولا مبهدة بالورود، فقد رُفضت الشعبية طلال من طرف كثير من التشكيليين المغاربة، الذين كافؤوا لوحاتها بكثير من التقليل والحط من شأنها، ولكنها استطاعت أن تتجاوزهم إلى العالمية، إلى حد أن أغلبهم كان يتهرب من إقامة معارض مشتركة معها، بحجة أنها تتبع جل لوحاتها.

وعن الشعبية طلال قال الفنان التشكيلي أحمد جريد إنها "تعتبر مدخلا أساسيا للفن التشكيلي المعاصر منذ منتصف القرن الماضي، حيث كانت من الرواد الأوائل الذين اقتحموا المتاحف الدولية وصلات العرض المرموقة في العالم. كما أن أعمالها توجد حاليا ضمن المجموعات الفنية لدى عدد كبير من المنظمات الدولية والمتاحف الشهيرة وكبار مقتني اللوحات في العالم. وتميزت الشعبية كذلك بكونها الوحيدة التي أسالت الكثير من الحبر حول تجربتها وحول ما يسمى بالفن

وقد أقامت الراحلة أول معرض لها عام 1966 في الرباط، لتتلق بعدها رحلة طويلة مع الألوان المتوهجة والعفوية التي تظهر الجمال طبقا لقانون الفنانة وعفويتها الخاصة بها. وتميزت لوحاتها بألوانها الحارة المتوهجة والطبيعية التي يغلب عليها الأحمر والأخضر



فنانة قادتها الفطرة إلى العالمية

من خارج المغرب، بينما اعتبرت ظاهرة لم تخضع لأي تصنيف أو مدرسة فنية. واقتحمت الشعبية المشهد التشكيلي الفني دفعة واحدة بفضل صدقها في التعبير عن روحها الملونة بفن طابع بالضوء والألوان التي ظلت تهيم بها إلى آخر رمق.

من خارج المغرب، بينما اعتبرت ظاهرة لم تخضع لأي تصنيف أو مدرسة فنية. واقتحمت الشعبية المشهد التشكيلي الفني دفعة واحدة بفضل صدقها في التعبير عن روحها الملونة بفن طابع بالضوء والألوان التي ظلت تهيم بها إلى آخر رمق.

ساحرة الفنون" كل من عبدالجليل الحميري أمين السر الدائم لأكاديمية المملكة المغربية، وعبدللطيف زغنون رئيس مؤسسة صندوق الإبداع والتدبير، فضلا عن ثلة من شخصيات عالم الفن والثقافة، ولاسيما عبدالعزیز المريني مدير متحف محمد السادس للفن الحديث والمعاصر، والفنان التشكيلي جاك بلحاج. وغالبا ما كانت الشعبية طلال موضوع سجال في الساحة الفنية المغربية، حيث كانت تشد إليها عيوننا

وسيرتها الذاتية، والإعمال المعروضة خلال المعرض التكريمي، ويستعيد كتابات عن الشعبية، ولاسيما كتابات إبراهيم العلوي، مؤرخ الفن ومحافظ معارض بعنوان "الشعبية لها عيانتان" وبيدان خصبتان، فضلا عن مقتطف من كتاب "السندباد المغربي" لفاطمة المريني.

وأكد حسين طلال، ابن الشعبية، في تصريح مماثل أن "الشعبية لها بعد دولي، وهي تشرف الرأى المغربية". وقال مهدي قطبي، رئيس المؤسسة الوطنية للمتاحف، "إنه لشرف اللقاء من جديد بالشعبية" التي يعرفها حق المعرفة، مضيفا "الرائع في الأمر هو أن لديك جدران تغني وتفرحنا في فترة عصيبة"، مسجلا أن هذا المعرض يظهر أن "رسومات الشعبية مهمة، ونحن بحاجة إلى فنانين مثلها".

وحضر افتتاح معرض "الشعبية.. ساحرة الفنون" كل من عبدالجليل الحميري أمين السر الدائم لأكاديمية المملكة المغربية، وعبدللطيف زغنون رئيس مؤسسة صندوق الإبداع والتدبير، فضلا عن ثلة من شخصيات عالم الفن والثقافة، ولاسيما عبدالعزیز المريني مدير متحف محمد السادس للفن الحديث والمعاصر، والفنان التشكيلي جاك بلحاج. وغالبا ما كانت الشعبية طلال موضوع سجال في الساحة الفنية المغربية، حيث كانت تشد إليها عيوننا

الرباط - افتتح أخيرا في الرباط معرض "الشعبية.. ساحرة الفنون" الذي تنظمه مؤسسة صندوق الإبداع والتدبير، والمخصص لذكرى الفنانة التشكيلية المغربية الشعبية طلال، وذلك بحضور عدد من الفنانين والسياسيين ومحبي الفنانة الراحلة. وخلال هذا المعرض، الذي تتواصل فعالياته إلى غاية 15 مارس 2021 في فضاء CDG Expression، سيكون بإمكان الجمهور اكتشاف الجوانب المختلفة لهذه الفنانة التي رحلت منذ ما يقرب من 17 سنة، وذلك من خلال ثلاث فترات من حياتها، من 1960 إلى 1972 "نداء.. الإرماسات الأولى إلى تأكيد الفرد"، ومن 1972 إلى 1990 "سنوات النجاح.. من المعارض الأولى إلى الاعتراف الدولي"، وكذلك من 1990 إلى 2003 "السنوات الأخيرة".

وفي تصريح لوكالة المغرب العربي للأنباء، قالت المديرية العامة لمؤسسة صندوق الإبداع والتدبير، بينا الناصري، إن المؤسسة حرصت كتابتها كل سنة على تكريم شخصية كبرى في عالم الفن سواء كانت على قيد الحياة أو متوفاة. وأضافت أنه تم تسليم الأضواء هذا العام على الشعبية باعتبارها "امرأة منفتحة على عصرها وكأيقونة للفن المغربي"، مشيرة إلى أن المؤسسة أعدت لأول مرة كتابا مخصصا للفنانة المغربية، وأوضحت أن الأمر يتعلق بكتاب يتضمن قصيدة كتبها الفنانة بنفسها،